

التقاعس عن مؤازرة النازحين داخل أوطانهم

بقلم: روبرتا كوهين ودافيد أ. كورن

UNHCR/U. Weisser



كان النازحون في داخل
كوسوفو من أكثر الفئات
تعرضاً للمخاطر خلال فترة
القتال.

في الوقت الذي حظي به المواطنون ذوو الأصل
الألباني التسعمائة ألف الذين دفعوا إلى
مغادرة كوسوفو بالحماية والمساعدة من المجتمع
الدولي، ظل من فرض عليهم النزوح في داخل
الإقليم بدون مساعدة أو حماية. ويقدر عدد من
اقتلعوا من ديارهم في داخل كوسوفو أثناء الفترة
الواقعة بين بداية غارات حلف شمال الأطلسي في
٢٤ مارس/آذار وانسحاب القوات اليوغوسلافية في
٢٠ يونيو/حزيران، بين ٤٠٠ ألف و٥٠٠ ألف
نسمة.

الاعتداء والنزوح

وكان معظم النازحين في داخل كوسوفو من الذكور،
بعكس ما يحدث في حالات الطوارئ الأخرى،
حيث عمدت القوات الصربية إلى فصل عشرات
الألوف من الذكور عن أسرهم ومنعتهم من التماس
ملاذئ آمن في مقدونيا أو ألبانيا أو الجبل الأسود.
وقتل البعض منهم (١٠ آلاف شخص حسب
التقديرات)، كما تعرض آخرون للضرب والتجويب
والاحتجاز. واستخدم غيرهم كدروع بشرية أو
أجبروا على القيام بأعمال يدوية. ولا يزال الكثيرون
منهم في عداد "المفقودين". ومما يندر بالسوء، ما
ورد من أنباء حول اقتياد القوات الصربية المنسحبة
لعدة مئات منهم إلى أماكن مجهولة في صربيا.

لقد تمكن عشرات الألوف من النازحين في الداخل
من الاختباء في التلال والجبال حيث قام جيش
تحرير كوسوفو (جيش التحرير) بتزويدهم بحماية
جزئية، بيد أن تناقص مؤن الطعام والأدوية أدى إلى
هلاك بعضهم. كما اضطر البعض الآخر إلى الاختباء
في القرى وما حولها، فكانوا ينتقلون من مخبأ إلى
آخر في الوقت الذي كان آخرون ينتقلون في بيوت
متنقلة تجرها الدواب من قرية إلى قرية بحثاً عن
المأوى والطعام. وتجمعت أعداد كبيرة منهم في
القرى والمدن التي دمرتها الحرب حيث كانوا
يتعرضون بصفة يومية للاضطهاد وللتهديد والسخرية
من جانب الجنود الصرب، ورفضت بعض المحلات

الصربية بيعهم الطعام، وأبقت المستشفيات علاجهم.

ولم يغادر بعض أولئك النازحين كوسوفو لأن
تقدمهم في السن أو إصابتهم بالعجز حالاً دون
قيامهم بالرحلة الطويلة إلى البلدان المجاورة أو لأنهم
حسبوا أن بقاءهم في وطنهم أسلم وأكثر أمناً، إذ لم
تلحق الأضرار ببعض المناطق بصورة نسبية. كما أن
غيرهم وجد الحدود مغلقة في وجهه أو منعتهم
القوات اليوغوسلافية من الرحيل. ورفض فريق من
النازحين الرحيل كمسألة مبدأ، وذلك حتى لا
يدعموا مشروع "التطهير العرقي" الذي كان الصرب
يبغون تحقيقه. إن ملحمة هؤلاء النازحين في
النضال من أجل البقاء - أو مآسي من قضوا نحبتهم
- لم تبدأ في التكشف لنا إلا في الآونة الأخيرة.

وقد روى سرغيو فييرا دي مليو، نائب الأمين العام
للأمم المتحدة، الذي سُمح له بزيارة كوسوفو مع
فريق في أواخر مايو/أيار، الآتي: "شهدت الفترة
الواقعة بين ٢٤ مارس/آذار و١٠ إبريل/نيسان موجة
محمومة من أعمال القتل وإحراق المنازل والنهب
والطرد القسري والعنف والثأر والإرهاب". كما قال
إنه لم يشهد أي شيء يبرر "اتساع وهول المعاملة
الفظية التي تعرض لها السكان المدنيون".
وجدير بالذكر، أن الاعتداءات المنظمة التي تعرض
لها ألبان كوسوفو لم تبدأ في ٢٤ مارس/آذار، بل
تسارع إيقاعها في ذلك التاريخ. وكانت اللجنة
الدولية للصليب الأحمر قد أفادت قبل ذلك بستة
شهور أو أكثر "أن عشرات الألوف من المدنيين قد
باتوا ضحايا محصورين في حلقة مفرغة من

وكان سيقل أيضاً من احتمالات إصابة قنابل وصواريخ الحلف لقوافل النازحين أو القطارات التي تقلهم إلى الحدود أو تلك التي تنقل المرضى إلى المستشفيات.

كما رفض الحلف والأمم المتحدة على حد سواء تزويد النازحين في الإقليم بالطعام والدواء عن طريق الجو نظراً للأخطار التي تكتنف هذه العمليات، بالرغم من الأنباء الواردة عن تفشي المجاعة والوفيات بسبب نقص الدواء. ولكن منظمة غير حكومية جسورة - هي هيئة الإنقاذ الدولية - حاولت وحدها إسقاط مواد الإغاثة عن طريق الجو على نطاق محدود في الوقت الذي اقتربت فيه الحملة الجوية من نهايتها. كما استبعد الحلف أية محاولة لتوفير ممرات لتوصيل المساعدات الإنسانية أو إنشاء مناطق محمية كان بوسع النازحين في الداخل اللجوء إليها وهم في طريقهم إلى بلدان أخرى، أو الاحتماء بها إلى أن تنتهي الحرب.

وفي الوقت الذي كان فيه حلف شمال الأطلسي يبدي خشيتيه من التعرض لخسائر في الأرواح، كان آخرون ممن يعارضون إنشاء المناطق الآمنة يشيرون إلى إخفاق المجتمع الدولي في حماية المناطق الآمنة في البوسنة، مثل سربرينيتشا وزيبا في عام ١٩٩٥، دون أن يفتنوا إلى أن قوات الأمم المتحدة في تلك المناطق كانت مزودة بأسلحة خفيفة وأن اختصاصاتها لم تكن محددة بدقة مما جعلها تفسرها على أنها تعني في المقام الأول أن تدافع عن نفسها عند تعرضها للهجوم. ولكن الوضع في كوسوفو كان سيختلف تماماً لو تواجدت قوات تابعة للأمم المتحدة جيدة التسليح ومزودة بغطاء جوي. وقد عارض المدافعون عن اللاجئيين بدورهم إنشاء المناطق الآمنة، زعماً منهم بأنها ستحبس

تأثير الإجراء العسكري

وفي ظل ظروف هذا شأنها، أصبحت الإجراءات العسكرية أو التلويح باتخاذها وسيلة الردع الوحيدة. إلا أن قرار اتخاذ الإجراءات العسكرية جاء متأخراً كما أن نوع الإجراء المتبع لم يوفر الحماية المطلوبة، إذ كانت الاستراتيجية العسكرية التي وقع اختيار حلف شمال الأطلسي عليها لوقف عمليات الاقتلاع والاعتداء استراتيجية بعيدة الأمد بحيث كانت عاجزة عن توفير حماية سريعة لألبان كوسوفو من الهجمات التي يتعرضون لها على أراضيهم. فقد ركزت حملة القصف الجوي في البداية على الأهداف العسكرية والصناعية في جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية محاولة منها لشل قدرة ميلوسوفيتش على شن الحرب في البلقان بصفة عامة. ولم يركز الحلف ضرباته الجوية على القوات الصربية في كوسوفو إلا في وقت لاحق.

واقضى نجاح استراتيجية الضربات الجوية أن تستمر الغارات لمدة ثلاثة أشهر ظل ألبان كوسوفو خلالها نازحين في وطنهم بلا حماية، كما استبعد حلف شمال الأطلسي التدابير التي كانت قميئة بمساعدتهم لأنها كانت ستعرض قواته للخطر.

الاعتداءات وعمليات النزوح... كما أنهم يتعرضون للعنف بما في ذلك التهديد بالقتل وتدمير المنازل والتفريق عن الأهل والخطف. وهناك آلاف من النازحين لا يجدون مكاناً يلجأون إليه أو جهة تحميهم". بل إن عدداً كبيراً منهم ناهز ٢٥٠ ألف شخص قد تعرض للتشريد في داخل كوسوفو قبل بداية القصف الجوي. وكان العدد الإجمالي قبل ذلك أعلى من الرقم السابق - حوالي نصف مليون - إلا أن نصفهم عاد إلى منازلهم بعد اتفاق وقف إطلاق نار المبرم بين القوات الصربية وجيش تحرير كوسوفو في أكتوبر/تشرين الأول.

كان النزوح القسري سياسة متعمدة وأداة عسكرية في يد الصرب خلال الأزمة كلها. وكانت القوات الصربية تسعى في البداية لإخلاء المناطق التي كان لجيش تحرير كوسوفو قواعد مدنية قوية فيها. ولكن سرعان ما تصاعدت تلك الجهود لتتحول إلى خطة لتغيير التوزيع السكاني في المنطقة باستخدام الطرد.

دور المجتمع الدولي

واجه المجتمع الدولي هذا التحدي بالافتقار بنشر موظفين غير مسلحين يقومون بالمهام الإنسانية في

إن حماية النازحين داخل أوطانهم مسألة حافلة بالمخاطر

لذلك، كانت الضربات الجوية تجري من على ارتفاع ١٥ ألف قدم أو أكثر بالرغم من أن القصف من على ارتفاع منخفض كان سيجدي في وقف القوات والدبابات الصربية المنهمكة في تنفيذ استراتيجية "التطهير العرقي" من بيت إلى بيت،

موقع الأحداث قبل ٢٤ مارس/آذار. وكان عدد العاملين التابعين للجنة الدولية للصليب الأحمر ٧٠ شخصاً، وكان تواجد معظم المنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية محدوداً للغاية. وقد نشرت منظمة الأمن والتعاون في أوروبا ٢٠٠٠ مراقب غير مسلح - بعثة رصد أزمة كوسوفو (بعثة الرصد) - للتأكد من وقف إطلاق النار. واتخذت البعثة خطوات أيضاً لإنهاء العنف وردع الاعتداءات، ولكن لم يكن من المنتظر منها إيقاف الانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان والقانون الدولي التي كانت ترتكب هناك. وكما أشار ويليام ووكر رئيس البعثة المذكورة، كان الراصدون يشعرون أساساً بالعجز في مواجهة القوات التي حشدتها اليوغوسلافيا^٣. كما كانوا هدفاً للتهديدات والانتهاكات والاعتداء بالضرب مما جعل قيامهم بمهمتهم مستحيلاً. كما اضطرت اللجنة الدولية للصليب الأحمر إلى الرحيل بالرغم من صلاحياتها المحددة بشأن حماية المدنيين في زمن الحروب. وقد رحل جميع العاملين بالبعثات الإنسانية الأخرى.

أحد النازحين العائدين وهو يحاول إعادة بناء منزله مستعيناً بالأنقاض والطين لعدم توافر مواد بناء مناسبة. نيكوفتشي، بلدية غلوففاتش.



UNHCR/ U Meisner

اطّلعوا على موقعنا الجديد في شبكة الإنترنت!

لقد أصبح لدينا موقع جديد في
الإنترنت، عنوانه: www.fmreview.org

وتستطيع من خلال صفحاته:

- مشاهدة غلاف ومحتويات آخر
- عدد من نشرة الهجرة القسرية
- قراءة تفاصيل الأعداد المقبلة
- الوصول إلى أعداد سابقة من
- النشرة وتحميل مقالات منها
- الاشتراك لمدة سنة أو سنتين أو
- ثلاث
- طلب أعداد سابقة ونسخ مفردة
- من آخر عدد
- مشاهدة قائمتنا لمواقع الإنترنت
- (منقولة من أدلة مواقع الإنترنت)
- الاطلاع على دليلنا للمساهمين
- الاتصال مباشرة بموقع برنامج
- دراسات اللاجئين
- الاتصال مباشرة بعدد من
- المنظمات التي لها علاقة بنا

www.fmreview.org

ولا شك أن الوقت قد حان لكي يبدأ المجتمع الدولي في التعامل مع مجموع الأزمات الإنسانية وأزمات حقوق الإنسان، ونبدأ المفهوم القصير النظر الذي يرى أن معالجة قضية النزوح لا يمكن أن تتأتى إلا عبر الحدود وليس داخل البلدان نفسها. ولا بد من منح الأولوية في القرن الواحد والعشرين لتأسيس نظام دولي يوفر الحماية لمن يحتاجها في الصراعات الداخلية على نحو أكثر شمولاً.

روبرت كوهين مدير مشارك لمؤسسة بروكنغز للمشروع الخاص بالنزوح داخل الوطن. ودافيد أ. كورن، دبلوماسي سابق، ومؤلف "الهجرة الجماعية في داخل الحدود: مقدمة لأزمة النزوح داخل الوطن"

موقع الإنترنت الجديد لمؤسسة بروكنغز للمشروع الخاص بالنزوح داخل الوطن:
www.brook.edu/fp/projects/idp.htm

- ١ تقرير مرفوع لمجلس الأمن في ٢ يونيو/حزيران ١٩٩٩ من سرجيو فييرا دي ميليو، OCHA، نيويورك.
- ٢ تقرير للفريق العامل الخاص المعني بحماية المعرّضين للخطر في كوسوفو، معهد بروكنغز، واشنطن العاصمة، ٢١ سبتمبر/أيلول ١٩٩٨.
- ٣ من مناقشة مع السفير ويليام ووكر، الائتلاف من أجل تحقيق العدالة الدولية، واشنطن العاصمة، ٦ إبريل/نيسان ١٩٩٩.
- ٤ "ممثل الأمين العام يطلق على النازحين في وطنهم الجانب الخفي من مأساة كوسوفو"، تصريح للصحافة، HR/99/29، ١٦ إبريل/نيسان ١٩٩٩، جنيف.
- ٥ بيان صحفي أدلى به رئيس مجلس الأمن في ٣ يونيو/حزيران ١٩٩٩ في نيويورك.

السكان في داخل الإقليم بدلاً من السماح لهم بالبحث عن الأمن في خارجه. علماً بأنّ قسماً من المعرّضين للخطر في كوسوفو لم يتمكنوا من الخروج منها.

وعلى الرغم من نجاح الحلف في إجبار جميع القوات الصربية على الانسحاب، إلا أن تدخله لم يمنع أعمال القتل الجماعي أو الترحيل أو الاغتصاب أو غيرها من جرائم الحرب أو الجرائم المرتكبة ضد الإنسانية التي يجري التحقيق فيها حالياً. وكان النظام الدولي الذي أنشئ لحماية اللاجئين هو الوحيد الذي كان يؤدي مهمته بفعالية معقولة أثناء أزمة كوسوفو. إذ حشد المجتمع الدولي إمكاناته لتلبية الحاجات الأساسية كالطعام والمأوى والاعتبارات الأمنية المتعلقة بمئات الألوف من اللاجئين من كوسوفو الذين رحلوا أو فروا عبر الحدود. ولكن مساعدة النازحين في الداخل كانت تحدياً لم يكن المجتمع الدولي على استعداد لمواجهة.

معنى المسؤولية الدولية عن النازحين داخل وطنهم

تقتضي حماية النازحين داخل أوطانهم التعرض لمخاطر معينة. فهي كانت تعني إصدار تهديدات ذات مصداقية باستخدام القوة في مرحلة مبكرة لردع القوات اليوغوسلافية عن ممارسة حملة "التطهير العرقي" التي كانت تقوم بها. كما تعني الاستعداد لنشر قوات برية وإعلان هذا الخيار على الملأ لإضفاء طابع جدي على تحذيرات حلف شمال الأطلسي بأن الممارسات التي اتبعت في البوسنة لن يسمح بتكرارها في كوسوفو. وهي تعني أيضاً إلقاء القبض على من ثبتت إدانتهم بارتكاب جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية في البوسنة لتأكيد هذا الجانب. وكذلك الشروع في توجيه ضربات مباشرة تستهدف القوات الصربية الماضية في ارتكاب التهجير والفظائع، بمجرد بداية حملة الغارات الجوية. وإنشاء ممرات لنقل الإمدادات الإنسانية وتوفير مناطق آمنة لمد يد العون والمساعدة للسكان الذين ألقوا أنفسهم محصورين داخل الإقليم. كما أنها كانت تعني، على أضعف الإيمان، إرسال الإمدادات المطلوبة جواً وإسقاطها للنازحين. وجملة القول إنها كانت تعني أن يتحمل المجتمع الدولي مسؤولية كاملة عن السكان المعرّضين للاعتداء داخل كوسوفو.

لقد طالب فرانسيس م. دينغ، ممثل الأمين العام المعني بالنازحين داخلياً، المجتمع الدولي باتخاذ "خطوات جريئة" لمعالجة الثغرة الخطرة التي يحتوي عليها النظام الدولي، والتي تترك النازحين دون حماية كافية.^٤ وقد أعلن رئيس مجلس الأمن تأييده لتلك المطالبة في ٣ يونيو/حزيران عندما لفت الأنظار إلى ضرورة "المساواة في المعاملة" بين اللاجئين والنازحين في داخل وطنهم على مستوى العالم.^٥

دعوة إلى المساهمة في نشرة الهجرة القسرية

يحرص المحررون حرصاً شديداً على التوسع في نشر الموضوعات المتعلقة بالشرق الأوسط في نشرة الهجرة القسرية، ونحن نرحب بالمزيد من المساهمات من مقالات وأخبار.

إذا كنت تريد المشاركة أو إذا كانت لديك مقترحات للمشاركين، الرجاء الاتصال بالمحررين عن طريق البريد الإلكتروني: fmr@qeh.ox.ac.uk أو بالبريد العادي على عنوان برنامج دراسات اللاجئين:

RSP, Queen Elizabeth House, University of Oxford,
21 St Giles, OX1 3LA, United Kingdom

كما أننا نود توسيع دائرة قرائنا. فإذا كنت تعرف منظمة حكومية أو غير حكومية أو مؤسسة تعليمية تشعر أنها تريد تلقي نشرة الهجرة القسرية، نرجو أن توافينا باسمها ومعلومات عنها وعنوانها، علماً بأنّ النشرة توزع كما تعرف بالمجان.